# الباب الثاني

# مع الناس

# تمهيد

الباب الثاني، **مع الناس** مُكَوَّن من أربعة فصول، وكل فصل يتكون من أربعة موضوعات، يخدم كل موضوع منها محورًا تربويًا متميزًا، وحتى لا تمل من التشابه أو يستحوذ عليك محور واحد لفترة طويلة فتفتر، أو يتحول الأمر إلى مجرد استرادة علمية دون تحقيق للجانب الوجداني أو للترجمة السلوكية المقصودة؛ كان تقسيم المحور الواحد على الفصول الأربعة مقصودًا، فمَن تناول الباب بهذا الترتيب، سار في المحاور كلها تتوارد وتُخطى ثابتة، وأعان نفسه على نفسه بالتنوع، وتحققت بسهولة الجوانب الوجدانية والعملية.

ومن أراد بعد ذلك تتبع المحور الواحد عبر الفصول الأربعة فله ما أراد، فبإضافة كل موضوع إلى نظيره في باقي الفصول الأربعة يكتمل المحور في جانبيه العلمي والمعرفي

فالمحور الأول يعتني بعض الأصول التي يُفهَم الإسلام في إطارها، فيعالج الأخذ بالهوى والتعصب للرأي، ويُبيِّن مِمَّن يُؤخَذ الأمر إلزامًا والتزامًا، وأدب التعامل مع رأي الأشخاص، ويحدد الطريقة السليمة للتعرف على الأحكام، وفي أي الأمور يحور التقليد، وفي أيها لا يجوز، كما يساعد في تعادي افتراق المسلمين على أمر معين في كيفية الدعاء، وهو التوسل فيه.

والمحور الثاني يعتني بالإيمان وزيادته وإيقاظه، ويحتوي برنامجًا تنفيذيًا للفرد يوقظ به إيمانه، من خلال فتح نوافذ سمع للإيمان، ولا يفوتنا أن نُذَكِّر بأننا قد ألحقنا بهذا الجزء مُلحقًا بالآيات الكريمة التي تعين القارئ على فتح نافذة التدبر في

النواميس والسنن الإلهية التي تحكم حياة البشر كما يعتني بالدعاء، وبيان ما يرشحه للقبول

والمحور الثالث فيحرك القارئ للمبادرة بالتعارف مع المسلمين من حوله على أسس سليمة؛ ثم يعلمه كيف يختار وعاء دعوته، كما يعاون الداعي في الوصول إلى قلب المدعو، وكيف يُوثّق الصلة به عن طريق حقوق الأخوة التي كفلها الإسلام

أما المحور الرابع فيعتني بالرقائق من خلال تدبر الموت وأحوال الآخرة، فنتعرف من خلاله على نُدُر الموت، ونتأمل في مشهد الانفراد والتجرد يوم القيامة، ثم نتعرف على أبواب النار -والعياذ بالله- لنتجنبها، ونتعرف على أبواب الجنة، لنستحث الخطى إليها، وقد ردنا في هذا الجزء ملحقًا به دليل للآيات القرآنية الكريمة التي ورد بها ذكر مشاهد القيامة والنار والجنة، لكي يسهل القارئ - على سوال مقالات هذا المحور - تأملات فيها، وهذه مساعدة عملية تطبيقية على طريق إيقاظ الإيمان.

*****

# الفصل الأول

١- الـــرأي اجتـــــهاد

٢- تهليل يجدد الإيمـــــان

٣- لتعـــــــــــارفوا

٤- جاء نذيـــــر المـــوت

# ١- الرأي اجتهاد

قد يظن البعض أن الرأي هو القول في مسألة ما بالهوى والظن دون قواعد ولا أصول، وهذا فهم خاطئ لا شك في ذلك؛ لأن الرأي في الشرع قد يكون مرادفًا للاجتهاد، كما ذكر الإمام الشافعي، وهو على كل حال الاعتماد على الفكر في استنباط الأحكام الشرعية[١]

## المرء يعجبه رزق غيره:

عجيب أمر الإنسان، مهما أعطاه الله ﷻ من نِعَم، فإنه يقارن دائمًا ما عند غيره، وغالبًا ما يتطلع المرء إلى ما رُزِقَ به غيره وإن كان عنده ما يُغنيه، ولعل القرآن الكريم يشير لهذه الحالة في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[٢]، وهي القرآن الكريم عن مثل هذا في قوله ﷻ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ..﴾[٣]، لكن الإنسان يتعامل مع الفكر والرأي بغير ذلك

## المرء يُعْجِبُه عقله:

إن الإنسان نفسه الذي يتطلع إلى ما عند غيره، لو طُلِبَ منه أن يقارن بين عقله وعقل غيره، أو بين رأيه وما يراه غيره، فإنه يُعْجَب بعقله ويُفتَن بهواه نفسه، ويندُر أن تجد أحدًا يُعلي عقل غيره ورأيه على ما عنده من فهما، حتى المجنون معجب بعقله، ومن هنا تنشأ مشكلة الرأي والتعصب له، خاصة في الفتوى.

---

١- جمعة أمين، فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين، ص٧٩، دار الدعوة ١٩٩٠م

٢- الآية ٢٣ من سورة ص

٣- من الآية ٨٨ من سورة الحجر

## الكلام قد لا يحتمل إلا معنى واحدًا

بعض أدلة الأحكام الشرعية عاراها يُفْهَمُ منها معنى واحدًا لا يُحتَمَل غيره، وهذا مثل قوله ﷻ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾[1]، إذ يُفهم منه عدم التماثل بين البيع والربا، والأحكام التي تُستنبط من مثل هذه الأدلة لا خلاف عليها ولا اختلاف فيها

## والكلام قد يحتمل وجوهًا عِدَّة:

وبعض أدلة الأحكام الشرعية، تحتمل ألفاظها أو عباراها وجوهًا عِدَّة، وهذه الأدلة تتفاوت العقول في استنباط الأحكام منها، لهذا تكون هذه الأحكام محل اختلاف بين العلماء والفقهاء

## العفو فيما لا نص فيه:

وهناك أمور لم يَرِدْ بشأنها نص أو دليل شرعي على حكمها، أو على أقل تقدير لم يصل الدليل الشرعي المتعلق بها إلى مَن يتعرض للحكم فيها، فعَنْ سَلْمَانَ ﷺ أن النبي ﷺ قال: "الْحَلالُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمَّا عَفَا عَنْهُ" [الترمذي، من الحديث ١٦٤٨]

## القضاء بالوحي ثم بالاجتهاد:

ونُعَلِّمُنا سُنَّةُ رسول الله ﷺ أن يكون القضاء بالوحي[2]، ثم بالاجتهاد، فعَنْ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: "كَيْفَ تَقْضِي؟" فَقَالَ: أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ

---

١- الآية ٢٧٥ من سورة البقرة

٢- للتفصيل راجع موضوع (الوحي مرجعنا)، الفصل الأول من الباب الثاني من الجزء الرابع لهذه السلسلة

اللَّهِ؟» قَالَ: فَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟» قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، قَالَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» [ترمذي، من الحديث ١٢٤٩]

## الشورى تحسم ما لا نص فيه:

وتجيء الشورى لتحسم الأمور التي لا نص فيها[1]، ولممارسة الشورى مثل وصور عديدة، لكن جوهرها في النهاية يعتمد على ما يُسمَّى بالنظام النيابي، أي أن يكون للناس ممثلون يعبرون عنهم، قال ﷻ يمدح المؤمنين ويُثني عليهم: ﴿والذين اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2]، [وليس في قواعد النظام النيابي ما يتنافى مع القواعد التي وضعها الإسلام لنظام الحكم][3].

## الإمام يُرَجِّح عند الاختلاف:

نصَّ الشرع على بعض المصالح باعتبارها معتبرة، تُحفظ وتُصان، كالرواح والبيع، ونص على مصالح أخرى بأنها مهدرة، لحُرْمَتها، كالمنافع التي في الخمر والميسر، وهناك مصالح أخرى لم ينص الشرع عليها باعتبار أو إهدار، كرواج صنف معين، أو صناعة شيء مفيد، وهذه تسمى المصالح المرسلة، والمصالح المرسلة تتغير وفقًا للظروف والعادات والأعراف، ويمكن تغيير الحكم فيها طبقًا للمصلحة الإسلامية[4]، وهنا تبرز أهمية رأي الإمام ونائبه، [ورأي الإمام ونائبه

---

١- في هذا تختلف الشورى عن (الديمقراطية) التي تعطي الشعب حق تغيير النص

٢- الآية ٣٨ من سورة الشورى

٣- حسن البنا، مجموعة الرسائل، ص ٣٢٢، ط المؤسسة الإسلامية، ١٩٩٢، بتصرف يسير

٤- جمعة أمين، فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين، ص ٨٢، بتصرف

فيما لا نص فيه، وفيما يحتمل وجوهًا عِدَّة، وفي المصالح المرسلة، معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير بحسب الظروف والعادات .][1]

**تطبيق:**

تعميق الشورى تربية، لكنها تربية تتناول طرفين معًا، وكل طرف يُرَبَّى من زاويتين، الطرف الأول يُعَوَّد على أن يقول، والطرف الثاني يُعَوَّد على أن يستمع، ثم يُرَبَّى الذي يقول على أن يحسن الاستماع، كما يربى الذي يستمع على أن يحسن القول.

هذه هي الخطوة الأولى في التربية على الشورى، وإذا تمت هذه الخطوة في البيوت أو بين أعضاء الأسرة الواحدة، فإنا نفوز بمجتمع يجيد ممارسة الشورى التي حض عليها القرآن الكريم.

أما خارج البيت، فكل عمل له رأس أو أمير وفيه رعية أو جنود، يجب أن تتم فيه مثل هذه الممارسة، حتى يصير الكل يحسن القول والكل يحسن الاستماع

*****

١- حسن البنا، مجموعة الرسائل، ص ٣٥٧، ط المؤسسة الإسلامية، ١٩٩٢م

# ٢- تهليل يجدد الإيمان

معلوم أن الإيمان يزيد وينقص، فهو قابل للزيادة، فقد قال ﷻ ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]، كما أن الإيمان معرض للنقص، فقد قال رسول الله ﷺ «لا يَزْنِي الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَقْتُلُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» وسُئِلَ ابن عَبَّاسٍ: كَيْفَ يُنْزَعُ الإِيمَانُ مِنْهُ؟ قَالَ هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا، فَإِنْ تَابَ عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ [البخاري، الحديث ٦٣١١]، لذلك فما من أحد إلا ويحب أن يزيد إيمانه في كل شُعْبَة من شُعَبه، وأن يجدده.

## التهليل أفضل شُعَب الإيمان:

شُعَبُ الإيمان كثيرة، وأفضل هذه الشُعَب قول: (لا إله إلا الله)، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» [مسلم، الحديث ٥١]

## التهليل سبب للشفاعة:

بعض الناس سيسعد بشفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة، وأسعد الناس بذلك هؤلاء الذين أكثروا من قول لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: « أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ» [البخاري، من الحديث ٦٠٨٥]

---

١- الآية ٤ من سورة الفتح

## التهليل يقي من النار.

كلنا يأمل في الفوز بالجنة والبُعد عن النار، ومَن أراد وقاية مِنَ النار فليقل لا إله إلا الله، فقد قَالَ رسول الله ﷺ. "لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ. لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، إِلا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ" [البخاري، الحديث ٥٩٤٢]

## التهليل يُذْهِبُ السيئات:

ما مِنا من أحد إلا وله سيئات يرجو الله ﷻ أن يُذهبها ويمحوها، والتهليل أحد أسباب إزالة آثار السيئات، فالسيئة تنتهي بصاحبها إلى النار، والتهليل ينتهي بصاحبه إلى الجنة، قَالَ رسول الله ﷺ لأبي ذر ﷺ " مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ" قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟! قَالَ "وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ" قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟! قَالَ "وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ" ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: "عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ" [مسلم، من الحديث ١٣٨]

## التهليل يُنْقِذُ مِنَ النار:

إن لرسول الله ﷺ شفاعة مُدَّخرة يوم القيامة، وقد ادخرها رسول الله ﷺ لِمَن قال: لا إله إلا الله، يستنقذه بها مِنَ النار، قال رسول الله ﷺ يصف شفاعته " فَأَقُولُ يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ" [البخاري، من الحديث ٦٩٥٦]

## تهليلك يرتفع وإن انخفض صوتك

لا تحتاج لرفع الصوت بالتهليل، فإنه يعلو ويصل وإن انخفض به الصوت، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ. اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَقَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ» [البخاري، من الحديث ٣٨٨٣]

## لا إله إلا الله نتذكرها في الكروب.

يحتاج الإنسان للملجأ والسند عندما يقابل الكرب، وأول ما كان يلجأ إليه الرسول ﷺ في مثل هذه الأحوال قول. لا إله إلا الله، هي الحديث الشريف كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ الْعَلِيمُ[1] الْحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ [البخاري، الحديث ٦٨٧٦]

## هيا نزيد إيماننا:

مَنْ آمن بالله ﷻ يمكنه أن يجدد من إيمانه ويزيد في رسوخه بالإكثار من قول. لا إله إلا الله، ومَنْ أكثرَ مِنْ هذا التهليل يمكنه أن يزيد من حسناته بأن يدعو غيره إلى هذا الخير الوفير، كثير من الناس سيستجيب لذلك وإن لم نُزِدْه بيانًا، والبعض سيحتاج إلى بيان فضل التهليل وفائدته، ولعل في فقرات مقالتنا هذه عونًا لِمَن انتعى، فلنبحث فيمن حولنا مِنَ الناس عن أوعية لهذا الخير وهذا الثواب.

*****

١- وفي رواية: (العظيم) [البخاري، في الحديث ٦٨٧٩].

# ٣- لتعارفوا

خلق الله ﷻ البشر فرادى لا يملكون شيئًا، لا صاحب لأي منهم ولا رفيق، ويعود المرء إلى الله ﷻ فردًا، قال ﷻ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[١]، وبين الميلاد والممات يتعرف الإنسان على غيره، فيخالطه أو يصاحبه، قال ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢]، فالتعارف مطلوب

## التعارف ثمرة المخالطة

ولن يكون هناك تعارف إلا إذا كانت هناك مخالطة، والأفضل أن لا يعتزل الإنسان، قال رسول الله ﷺ. "الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الذي لا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ" [الترمذي، الحديث ٢٤٣١]

وقال أبو حامد الغزالي [واعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير، ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة، فكل ما يستفاد بالمخالطة يفوت بالعزلة، وفواته من آفات العزلة، فانظر إلى فوائد المخالطة والدواعي إليها ما هي؟. التعليم والتعلم، السمع والانتفاع، التأديب والتأدب، الاستئناس والإيناس، ونيل الثواب وإمالته في القيام بالحقوق، واعتياد التواضع، واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها][٣]

---

١- من الآية ٩٤ من سورة الأنعام

٢- الآية ١٣ من سورة الحجرات

٣- الغزالي، إحياء علوم الدين ٢/٢١٠، ط العثمانية

ومن مادح النفع والانتفاع وبيل الثواب بالمخالطة ما رواه أبو مَسْعُود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ قَالَ اللَّهُ ﷻ نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ» [مسلم، الحديث ٢٩٢١]

## التعارف العادي يتم في لحظات.

التعارف العادي يعني معرفة اسم مَنْ نلقاه وبياناته الأساسية، كعمره ومهنته ومكان عمله وسكنه، وأحيانًا بلده أو موطنه، وأفضل سُبُل مثل هذا التعارف أن نبدأ نحن بتعريف أنفسنا لِمَنْ نلقاه، لا أن نطلب منه ذلك؛ فإنه إذا عرف عنا هذه المعلومات اطمأن إلينا ولم يمانع في أن يبادلنا مثلها، فإذا عرفناها حفظنا الاسم والصورة، ثم نناديه به حين نلاقيه فينفتح لنا قلبه، ويتيسر بدء التعارف العميق.

## التعارف العميق لا ينتهي.

وإذا كان التعارف العادي يستغرق لحظات، فإن التعارف العميق قد يستغرق سنوات، وربما لا ينتهي، ذلك أن تعرف الإنسان على الإنسان له مجالات عديدة، وفي كلٍّ أعماق كثيرة، وكلما توثقت علاقة الإنسان بغيره كلما ازداد به معرفة، فالتعارف العميق يبدأ بأسرة الإنسان وعائلته أو أقربائه، ويمتد إلى أصحابه وزملائه وجيرانه، ويغوص في تطلعات نفسه وطموحاته، وكل هذه الأمور لا ينفع فيها الاستعجال ولا يصلح لها الافتعال، لكنها تحتاج لخلطة ومعايشة ومشاركة.

## عمق التعارف يتناسب مع غرضه:

يكفي لقضاء المصالح التعارف العادي، لكن الرسالة تفرض تعارفًا أكثر، فإذا أردنا التعاون مع مَن نتعرف عليه، فليكن التعارف عميقًا؛ لكن التآخي يصاحبه تعارف أعمق.

والتعارف الأكثر قد يكون بالتعرف على أسرة المرء وعائلته، فربما لاحظت أو سمعت من ولده أو أهله أمورًا حسنة قد ترغبها فيهم، مما يرغبك في استمرار العلاقة معه أو تطويرها، وقد تلاحظ أو تسمع أمورًا مكروهة يدفعك رضاؤه بها أو سكوته عليها إلى التحفظ في علاقتك معه.

والتعارف العميق قد يكون بالتعرف على الأقارب والأصحاب والجيران المؤثرين على الشخص، وهذا أمر تحتاجه إذا أردت مع هذا الإنسان تعاونًا، وهذه معرفة قد تطمئنك في علاقتك هذه، أو قد تجعلك أكثر حذرًا خشية أن تنتقل خصوصياتك إلى مَن لا ترغب في هذه الدوائر المحيطة به.

والتعارف الأعمق تحتاجه عندما نصطفي الشخص للمؤاخاة، فنحرص على أن نستوثق من مشروعية تطلعاته، وسلامة دخله، ورُشد إنفاقه، والتزامه في مراعاته مع غيره إن وجدت، وكلها أمور تجعلها روابط الأخوة متعدية في أثرها من الشخص إلى إخوانه.

## تطبيقات:

لنبادر من جانبنا بالتعارف العادي، ولنحدد مسبقًا هدفنا من كل معرفة، ثم لنتدرج في تعميق التعارف في المجالات التي ذكرنا، ليتكرر كل ما ابتكارًا ييسر التعمق في التعارف، ثم لنتبادل معًا هذه الخبرات أو بعضها، ولنجعل بيننا وبين مَنْ

تعرفا عليه أحسن القول، قال ﷻ. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، ولا نحمل هما لذلك، فلسوف نجد في كل مقالة هذا الكتاب معنى يصلح أن يكون نبراسا، أو تطبيقًا يصلح أن يكون كذلك.

فالدعوة إلى الله هي كل كلام حسن، يُذكَر فيه التوحيد والإيمان، ويُطَبَّق فيه بما جاء في القرآن وسنة النبي ﷺ [2]

*****

١- الآية ٣٣ من سورة فصلت

٢- علي عبد الحليم، فقه الدعوة الفردية، ص ٢٠، ط دار الوفاء، ١٩٩٢م، تصرف كثير

# ٤- جاء نذير الموت

الموت أمر حتمي، قال ﷻ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[١]، وقال ﷻ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٢]، والموت طور من الأطوار، يعرض للإنسان في أي من سِنِيِّ عمره، قد يحدث الموت في الطفولة، وقد يحدث في الشباب، وقد يحدث بعد ذلك، قال ﷻ ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾[٣]، وقال ﷻ: ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ ﴾[٤]

وما من يوم يمُر إلا ويخطف الموت أناسًا من حولنا، أقرباء، وأحبة، وجيران، وأصدقاء، فنحزن لفقدهم، وسرعان ما تلهينا الدنيا، ولا نبقى إلا على مصيبة جديدة

## لا ننخدع بأمنية طول البقاء.

إن آفة الإنسان أنه يُمنّي نفسه بطول العيش، ويتغافل عن شبح الموت كلما تراءى له، فابن العشرين يقول أتوب في الأربعين، وابن الأربعين يقول أتوب في الستين، وابن الستين يقول: أتوب في السبعين، وهكذا يظل الإنسان يستبعد الموت وهو أقرب ما يكون إليه، ويُسَوِّف التوبة، وهو أحوج ما يكون إليها.

---

١- من الآية ١٨٥ من سوره آل عمران، ومن الآية ٥٧ من سورة العنكبوت، ومن الآية ٣٥ من سورة الأنبياء

٢- الآية ٣٠ من سورة الزمر

٣- من الآية ٤ من سوره الحج

٤- من الآية ٦٧ من سورة غافر.

## موت الفجأة يحدث بلا نُذُر.

أسوأ الموت، موت الفجأة، الذي يهجم على المرء دون أن يستعد له، فيصير كمن لم يهيئ الزاد لسفره، فيأسف حين لا ينفع الأسف، ويندم حين لا يُجْدِي الندم، وربما يكون هذا علامة على غضب الله ﷻ على هذا العبد، ويقول ﷺ: «مَوْتُ الْفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسِفٍ» [أبو داود، الحديث ٢٧٠٣]

وفي عصرنا هذا كثُرَت أسباب الموت المفاجئ مما لم يكن مثله في العصور الماضية، برغم تقدم الطب والتفوق في العلاج، فطالما تسمع عن أناس يموتون فجأة، واحد بالسكتة القلبية، وآخر بالذبحة الصدرية، وآخر بالخلطة المخية، وهذا يموت في حادث سيارة، وذاك في غرق باخرة، وثالث في تصادم قطارين، فلا معنى إذن أن تنتظر حتى يأتيك نذير مادي، وتستعد للموت، وأنت ترى صرعاه في كل حين

## الموت أقرب من شِرَاكِ[1] النَّعْل

وبصرف النظر عن حدوث نُذُر أو تنبيهات باقتراب الموت من عدمه، فقد اعتاد الصحابة ﷺ استشعار قُرْب الموت، ومن ذلك أن أَبَا بَكْرٍ ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ: كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ، وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ. [البخاري، من الحديث ٥٢٢٢]

## نُذُرُ الموت نِعْمَة من النِّعَم

من فضل الله ﷻ علينا أن جعل للموت رُسُلاً ونُذُرًا، تصل إلينا قبل أن يقرب الأجل، ومن أشهرها:

---

١- شراك النعل السير الذي يُربط بها

**النذير الأبيض.**

الشعر الأبيض الذي ينبت في رأس من تقدم به العمر هو إعلان عن اقتراب النهاية، فهلا فهمنا هذا النذير، أم أننا نكتفي بتغيير لونه!! لعلنا نكون في حكمة الشاعر الذي يقول.

تقولُ ابنتي غيِّر لَوْنَ هَذَا ... عَسَاكَ تَطِيبُ في عُمْرٍ يَسِيرِ
فقُلتُ لها المشيبُ نذيرُ عُمْرِي ... ولَسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ

**رحيل الناس يُذكِّرُنا**

ولا يمضي يوم إلا ويرحل عن هذه الحياة شخص نعرفه، حبيبًا كان أم عدوًا، قريبًا كان أم بعيدًا، فهل نفهم في مثل هذه المناسبات أننا اليوم نحمل موتانا، وسنكون غدًا المحمولين، يقول الشاعر.

وأراك تحملهم ولستَ تَرُدُّهُم ... وكأنني بِكَ قَد حُمِلْتَ فَلَمْ تُرَدّ

**صعف بالحواس ينبهنا:**

وكثيرًا ما يضعف بصرنا أو تنخفض قدرتنا على السمع مع تقدم العمر، فهلا قرأنا في مثل هذا التغير اقترابَ الأجل، فهلا نبهنا - عندما ندقق في الأشياء حتى نراها، أو عندما نضطر لارتداء نظارة- إلى هذا المعنى الخافي.

**جاءك نذير الموت:**

يا من جاءك نذير من هذه النذر، تدبَّر أمرك، واستعد لما أنت مقبل عليه، ويا من لم يجئك نذير مادي، اعتبر هذه المقالة نذيرًا، فقد تكون ممن لا تأتيهم النذر المحسوسة

*****